تجسير للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات
Tajseer For Multidisciplinary Research and Studies
المجلد: 01 العدد: 01 السنة: 2021 ص ص: 6 - 29

المفتي الحنفي الجزائري ابن العنابي وإسهاماته في مجال الثقافة، السياسة، الإصلاح والمقاومة

The Algerian Hanafi Mufti Ibn al-Annabi and his contributions in the field of culture, politics, reform and resistance

أجقو علي[1]*
جامعة باتنة1
pr.ajgou@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/01/03 تاريخ القبول: 2021/01/20

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على دور أحد رجال الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي هو المفتي الحنفي الجزائري ابن العنابي في مجال الثقافة، السياسة، الإصلاح ومقاومة الاستعمار الفرنسي. وذلك بالتطرق إلى بدايات التواجد الحنفي بالجزائر في العصر الحديث، ثم التعريف بهذا القطب البارز من أقطاب الجزائر، فدوره في الإفتاء والقضاء ومن ثم على النظام القضائي والافتائي في الجزائر، انتهاءا بدور ابن العنابي في مقاومة مشاريع الاحتلال الفرنسي. وذلك للإجابة على الإشكالية المتعلقة بالدور الذي لعبه هذا العالم والمفكر الجزائري الفذ في المجتمع الجزائري والمغاربي والإسلامي دينيا، ثقافيا، سياسيا وفكريا؟

الكلمات المفتاحية: ابن العنابي؛ المذهب الحنفي؛ القضاء؛الإفتاء؛الإصلاح؛المقاومة.

Abstract:

This study aims to shed light on the role of one of the men of thought and reform in the Islamic world, the Algerian Hanafi Mufti Ibn al-Annabi in the field of culture, politics, reform and resistance to French colonialism, by addressing the beginnings of the Hanafi presence in Algeria since the modern era, and then introducing this prominent pole of Algeria, then to his role in the fatwa and the judiciary, and then the judicial and advisory system in Algeria,ending with the role of Ibn al-Annabi in resisting the projects of the French occupation. And in order to answer the problem related to the role played by this distinguished Algerian intellectual scientist in the

* - المؤلف المرسل

Algerian, Maghreb and Islamic society religiously, culturally, politically and intellectually?

Keywords: Ibn al-Anabi, Hanafi school; judiciary; fatwa; reform; resistance.

مقدمة:

إن التوسع الجغرافي لأرض الإسلام وتنوع المناطق التي انتشر فيها من هذه المعمورة وأيضا مشروعية الاجتهاد التي ميز ديننا الإسلامي الحنيف عن غيره من الديانات الأخرى، وهذا حسب الظروف والحالات التي تعرفها كل منطقة ما دون أخرى، أدى إلى انتشار مدارس ومذاهب فقهية يحمل كل منها اسم عالم فقيه، كمذهب الإمام مالك بن أنس، مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان، مذهب الإمام الشافعي، مذهب الإمام أحمد بن حنبل، حيث أصبح لكل مذهب أتباع وتلاميذ يعملون على نشر فتواه وتطبيق مبادئه وآرائه كأحكام ثابتة.

بعد الفتوحات الإسلامية في شمال أفريقيا وانتشار الإسلام بها شهدت توافد عدة مذاهب وفرق، تنوعت عقائديا، وفكريا استطاعت أن تؤسس لمبادئها مستغلة في ذلك حداثة إسلام أهل المغرب وقابليتهم لمعرفته والتعمق بكل الأسس والمبادئ التي تستمد مادتها من ينبوع الشريعة الصافية، فكان ظهور المذاهب الفقهية نتيجة طبيعية لهذه الحركة العلمية المتواصلة المصاحبة لانتشار الإسلام.

ومن بين هذه المذاهب التي كتب لها الانتشار الواسع، بعد المذهب المالكي، المذهب الحنفي الذي، استطاع، منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، لكن بصورة محدودة والمصادر التي سلطت الضوء مباشرة على المذهب قليلة وشحيحة في معلوماتها، فهي لا تمدنا بتفاصيل كافية عن خط سير انتشار أ راء علماء المذهب الحنفي، وحول المناطق والحواضر التي تمركز فيها في بلاد المغرب، ما عدا بعض الكتابات، أو على الأصح بعض الإشارات التي تذكر القيروان والزاب على سبيل المثال، كما أن هذه المصادر لم تزودنا بتفاصيل عن رجال المذهب الذين أسهموا من قريب أو بعيد في نشره وتركيزه في بلاد المغرب، ورغم ذلك استطاع أن يفرض نفسه منذ بدايات القرن 16م والقرون التي تلته، خاصة في المغرب الأوسط، الجزائر فيما بعد، عن طريق دور بعض علمائه، كأداة فاعلة وحاضرة في كافة المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وأيضا مقاومة الاحتلالين الإسباني وومن بعده الفرنسي.

ويعد العلامة المفتي ابن العنابي، الذي هو موضوع دراستنا، أحد أقطابه البارزين في الجزائر، بل وفي بلدان المغرب الإسلامي في العصر الحديث. فقد كان عالما جليلا ومصلحا قديرا ومقاوما عنيدا للفرنسيين حسب ما يذكر معاصروه. إن هذه المكانة التي حظي بها علماء المذهب الحنفي

وعلى رأسهم ابن العنابي لم تحصل صدفة، بل كانت نتيجة علم وعمل واجتهاد وانفتاح، وهذا ما أهل العلامة ابن العنابي لأن يكون له قصب السبق في طرح قضايا التجديد والإصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي قبل أن يطرحها علماء من أمثال الطهطاوي، الأفغاني ومحمد عبده.

ولعل هذا ما دفعنا إلى طرح التساؤلات التالية: كيف نشأ النظام القضائي والإفتائي الجزائر وكيف تطور؟ من هو ابن العنابي؟ وماهوا الدور الذي لعبه هذا العالم الجزائري الفذ في المجتمع الجزائري والمغاربي والإسلامي دينيا، ثقافيا، سياسيا وفكريا؟

محاولة الإجابة على هذه التساؤلات، ستكون حجر الزاوية في هذه الدراسة التي قسمت إلى:

1- البدايات الأولى لتواجد الأحناف بالجزائر في العصر الحديث

2- ترجمة ابن العنابي

3- نشأة الجهاز القضائي وجهاز الفتوى الجزائري

4- مقاومة مشاريع الاحتلال الفرنسي

1- البدايات الأولى لتواجد الأحناف بالجزائر في العصر الحديث:

يمكننا إعادة تواجد الأحناف في الجزائر إلى البدايات الأولى للقرن العاشر الهجري/ السادس عشر، بوصول الإخوة أبناء يعقوب (عروج، خير الدين وإسحاق) والمشهورين تاريخيا وسياسيا باسم الإخوة بربروس، إلى شرق المغرب الأوسط في إطار مجهودهم الرامي إلى صد الهجمات الصليبية الإسبانية وتلك التي تقودها مليشيات القديس يوحنا على وجه الخصوص[1]، بعد أن أثبتت الكيانات السياسية القائمة ضعفها، بل استسلامها المجاني للأسبان. وقد كللت جهود هؤلاء المجاهدين بانتصارات مدوية أبعدت المعتدين عن السواحل المغاربية وتنفس سكان المنطقة الصعداء، ومن ثمة اتصل العلماء بهؤلاء الإخوة، الذين بعثوا الأمل في النفوس الحية من جديد، وطالبوا منهم القدوم إلى منطقهم لتحريرها من دنس الصليبية الإسبانية وأحفاد إيزابيلا وفردينا ند: فكان الهجوم على بجاية عام 1512 وعام 1514 ومحاولة تحريرها من السيطرة الإسبانية، لكن أمام تخاذل السلطان الحفصي فشل الهجومان، ثم تم الهجوم على جيجل وتم بالفعل افتكاكها من ايدي الجنويين عام 1514، وكانت أول مدينة مغاربية ساحلية تعود إلى حضنها لإسلامي. ومن جيجل انتقل الإخوة عام 1516 إلى الجزائر بدعوة من مجلس أعيانها لافتكاك حصن البينيون من الأسبان[2].

ومن مدينة الجزائر توجه بابا عروج إلى تنس وهناك جاءه وفد علمائي طالبا منه التدخل لإنهاء حالة الفوضى في تلمسان نتيجة الخلاف الحاد بين ورثة العرش الزياني وكان للأسيان في وهران

والمرسى الكبير ضلع في ذلك. وبالفعل دخل عروج تلمسان، لكن الأسبان تدخلوا وأرغموا الحاكم الزياني على نقض تعهداته لعروج وحوصر الحامية في المشور، وتمكن خير الدين من الخروج مع جنوده ولحق بهم الأسبان في وادي المالح غرب عين تموشنت وهناك دارت معركة غير متكافئة حاول خلالها الأسبان وعملائهم اسر عروج ولكنه رفض ذلك، واستمر في القتال إلى ان سقط شهيدا وسيفه بيده، وكان ذلك عام 1518 [3]. وفي نفس العام اجتمع مجلس أعيان مدينة الجزائر في اجتماع تاريخي انتهى بتعيين خير الدين حاكم للجزائر والموافقة على جعل الجزائر تحت حماية الخليفة العثماني سليم الأول. ومن هذا التاريخ يبدأ التواجد الرسمي للعثمانيين بالجزائر، وبوجودهم بدأ المذهب الحنفي في الانتشار والتواجد جنبا إلى جنب مع المذهب الحنفي، حيث عاش المذهبان في توافق وانسجام مؤسسات وأشخاص[4] وحتى بعد الاحتلال، حيث لاق المفتي ابن الكبابطى حفاوة ورعاية من المفتي ابن العنابي في منفاه بالإسكندرية بمصر.

2- ترجمة الفقيه ابن العنابي:

2- 1- المولد والنشأة:

هو أبو عبد الله، محمد بن محمود بن محمد بن حسين بن محمد بن عيسى الأزميتلي (أو الأزميرلي) الجزائري، الحَنَفي، الشهير بابن العُنّابي نسبة إلى مدينة عُنّابة[5] وهي مدينة بأقصى الشرق الجزائري. ولد ابن العنابي عام 1189هـ/ 1775، عاصر الثورة الفرنسية وما نتج عنها من أحداث مست جوانب متعددة من الحضارة الإسلامية، وعاصر في بلاده الجزائر حروباً خارجية خاصة ضد الإنجليز، الأمريكان، الفرنسيين والإسبان وغيرهم.

نشأ ان العنابي في أسرة عريقة في العلم والوجاهة: فأبوه محمود من علماء الحنفية وأحد أعيان البلد أشتهر بالعلم والتقوى، وحظي بالتقدير الكبير من طرف العلماء والحكام (ت1236)، وكما تولى جده الأكبر المفسر حسين بن محمد الإفتاء الحنفي ولقب بشيخ الإسلام وهو منصب لا يفوقه في الاعتبار سوى الداي رئيس الدولة(ت1150)،، كما تولى جده الأدنى محمد بن حسين قضاء الحنفية بالجزائر جدّه وكان عالما حظي بالتقدير الكبير من علماء عصره (ت1203)، كان عالما حظي بالتقدير الكبير من علماء عصره، وهو منصب مهم جدا في تلك الآونة، إذ كان يعد من المناصب في السلم الإداري، وكذلك أشتهر أخوه لأمّه الشيخ مصطفى العنّابي(ت1131) بالعلم والفقه وقد شاركه في الأخذ عن الكثير من شيوخه وأساتذته، وهو يعد من فقهاء الحنفية ومحدثيها وقد تولى قضاء الحنفية في الجزائر.

وتوفي في منفاه رحمه الله تعالى في ربيع الآخِر سنة 1267هـ/1851، عن ثمان وسبعين سنة في

منفاه بمدينة الإسكندرية، وأرَّخ وفاته الشاعر محمد عاقل بقوله: "اليوم رمس مفتي الإسكندرية". وقد ترك العديد من المراسلات في العديد من المواضيع خاصة الدينية منها وأشعارا وكتبا أهمها "السعي المحمود في نظام الجنود"، الذي الفه بالقاهرة وقال فيه: " إن الأوروبيين نظموا جنودهم ليضروا بالإسلام وأهله، وأمام هذا الخطر الداهم، أصبح من المحتم على المسلمين أن يتعلموا منهم ما اخترعوه من صنائع ونظم". وذُكر أن أسرة ابن العنابي ما تزال حتى اليوم بالإسكندرية، وتُعرف بأسرة المفتي الجزائرلي.

وخلاصة القول إن ابن العنابي ولد في هذه الأسرة ذات الأصول التركية العريقة في العلم والجاه، مما جعلها تتمتع بمنزلة دينية واجتماعية معتبرة، فقد تولى الكثير من أفرادها مناصب دينية وسياسية وفكرية هامة، وتركوا مؤلفات وآثار علمية وفكرية أثروا بها المكتبة الاسلامية التراثية، لكنها ضاعت حينما ابتليت الجزائر على غرار العديد من بلاد الإسلام بالاستعمار الأوروبي.

2-2- تكوينه وأساتذته:

تعلم ابن العنابي وتثقف بثقافة عصره، سواء تلك المتعلقة بالعلوم النقلية أو العلوم العقلية. وتلقى العنابي علومه على عدد من كبار العلماء في ذلك الوقت، حيث كان من الأوائل الذين تتلمذ عليهم في الجزائر جده محمداً (ت1203هـ) الذي قرأ عليه القرآن الكريم وأخذ عنه تفسير والده حسين شيخ الاسلام (ت1150هـ)، وبعض الفقه الحنفي، والحديث الشريف حيث سمع عليه قطعة من صحيح البخاري، وحصل على إجازته.

ثم والده محمود (ت1236هـ) الذي تعلم على يديه مبادئ العربية، وقرأ وحفظ على يديه القرآن الكريم، كما تلقى عنه الفقه الحنفي، ومختلِفَ العلوم الدينية والدنيوية المتداولة في عصره، وقد تلقى عنه أيضاً صحيحَ البخاري قراءة وسماعاً لجميعه، وأجازه.

ومن أساتذته البارزين أيضا نذكر[6]:

- مفتي المالكية بالجزائر المحمية علي بن عبد القادر بن الأمين (ت 1235 هـ): درس بالأزهر الشريف وأخذ عن علمائه وشيوخه، مفتي المالكية، المؤلف المشارك، المتفنن الفاضل" درس عليه ابن العنابي وأخذ عنه الفقه المالكي والحديث الشريف: فقرأ عليه صحيح البخاري سماعا لبعضه وأجازه بسائر مروياته عن شيخه أبي الحسن علي بن العربي السقاط المغربي عن شيخه محمد بن عبد الرحمن الفاسي صاحب " المنح البادية في الاسانيد العالية"، كما أجازه في الكتب الستة وموطأ الأمام مالك، وكتب القاضي عياض وتلقى عنه بعض المسلسلات .

- حمودة بن محمد المقايسي الجزائري (ت 1245 هـ): درس على علماء الجزائر ثم اتجه إلى مصر

حيث انتسب إلى الجامع الأزهر وتتلمذ على علمائه وشيوخه، وأجازوه بمروياتهم وكتبهم ومنهم مرتضي الزبيدي ومحمد الأمير الصغير وحسن العطار ومحمد الدسوقي وحجازي بن عبد المطلب العدوي، كما أذنوا له بالتدريس هناك، ثم انتقل إلى تونس إلا ان مقامه لم يطل بها، فعاد إلى الجزائر واشتغل بالتدريس ونشر العلم والمعرفة . وقد وصفه مرتضي الزبيدي في إجازته ب: " الشيخ الصالح الوجيه الورع الفاضل المفيد السيد الجليل والماجد النبيل " وقد جمع المقايسي أسانيده في ثبت خاص يرويه عنه تلميذه ابن العنابي .

-الإمام أبو عبد الله محمد صالح الرضوي البخاري(ت 1263هـ): أصله من سمرقند وبها ولد ودخل بخارى والهند واليمن والحجاز وتونس والجزائر ومصر والمغرب الأقصى ثم حط الرحال بالمدينة المنورة[7].

وقد أجاز ابن العنابي بالصحيحين والكتب الستة والموطأ وفقه الحنفية وبعض المسلسلات ودلائل الخيرات، كما أجازه في القراءات العالم احمد بن الكاهية الحنفي، وغيرهم من العلماء والأساتذة في الجزائر ومصر وتونس والحجاز[8]. والى جانب العلوم الشرعية التي تلقاها ودرسها على العلماء السالفين الذكر وغيرهم كثير، عرف عن ابن العنابي حبه وشغفه بالمطالعة والقراءة، فكان يطالع في مكتبة الأسرة ويشتري ما يصل إلى الجزائر من كتب ونشرات، فطالع كتب التوحيد والتاريخ والأدب والسياسة، مما أكسبه ثقافة واسعة جعلته بتفتح بوعي على مشاكل العصر ويدرس بتبصر الاضطرابات السياسية والاجتماعية ويواكب التحولات الكبرى التي عرفتها المجتمعات في العالم الإسلامي والدول الاوروبية، ويتفاعل معها.

وكانت براعة ابن العنابي في العلوم والمعارف الشرعية أقوى مع تفتح واع على مشاكل العصر ومستجداته ونجاحه في خوض غمارها والتفاعل معها بإيجابية وفاعلية. ويمكن القول ان علمه الغزير وثقافته الواسعة مصدرها الأساس اهتمامه وميولاته الشخصية بالدرجة الأولى ثم تقاليد أسرته التي كانت تعد من بين الأسر العلمية الجزائرية العريقة، والتي أمدته تراث علمي غزير.

2-3- أداؤه فريضة الحج:

في سنة 1236هـ، عزم على التوجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج رفقة والده ومحمد أفندي أخ آخر دايات الجزائر، الداي حسين. وبعد عودته من الحج توفي والده عند بحر السويس ودفنه ابنه بالقرب من بلد القصير بالإسكندرية[9]. وبعد مكوث في الإسكندرية لم يدم طويلا، توجه ابن العنابي إلى القاهرة والتحق بالجامع الأزهر وانبرى للتدريس به لمدة تسع سنوات، واستفاد من علمه فضلا عن طلاب الأزهر علماؤه، نذكر منهم: إبراهيم السقا، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الشيخ محمد الكتبي، الشيخ أحمد التميمي الخليلي (مفتي القاهرة)، الشيخ محمد البنا (مفتي

الإسكندرية)، الشيخ علي البقلي، الشيخ هليل الرشيدي وغيرهم. وأثناء إقامته بالقاهرة وتدريسه بالأزهر حج ابن العنابي ثلاث مرات[10].

والسؤال المطروح والذي تضل الإجابة عنه غير متاحة، في الوقت الراهن، هو لماذا بقي العنابي كل هذه المدة في القاهرة رغم انه كان يتقلد وظيفة رسمية في الدولة وهي وظيفة الإفتاء على المذهب الحنفي؟

ومهما يكن من أمر، فإنه في أواخر سنة 1244 هـ أرسل له الداي حسين سفينة خاصة يطلبه للمجيء، فذهب إليه، وفي طريقه مرَّ بتونس، فأحاط به العلماء حيث لقي احتراماً، وإجلالاً، فأشادوا بعلمه، وجدّه، وحسن عمله، فاستجازوه، ومدحوه نثراً وشعراً. وبعد هذه الإقامة القصيرة وصل إلى الجزائر أوائل سنة 1245 هـ، وأكرم الداي وفادته وقلّده الإفتاء من جديد[11].

توفي ابن العناب في ربيع الآخر سنة 1267هـ/1851 بمصر عن ثماني وسبعين سنة، وقد أرخ وفاته الشاعر محمد عاقل بقوله: "اليوم رمس مفتي الإسكندرية". وقد ترك العديد من المراسلات في العديد من المواضيع خاصة الدينية منها، وأشعارا وكتبا من أهمها كتابه ها "السعي المحمود في نظام الجنود"، الذي قال عنه" أن الأوروبيين نظموا جنودهم ليضروا بالإسلام وأهله، وأمام هذا الخطر الداهم، أصبح من المحتم على المسلمين أن يتعلموا منهم ما اخترعوه من صنائع ونظم". ومما يلاحظ جلُّه استدلال بالحديث الشريف.

2-4- تدريسه وتلامذته:

وقد انبرى ابن العنابي للتدريس، حيث التف حوله طلاب علم وعلماء بعد أن تصدر لتدريس الحديث والفقه في مصر وتونس، فأجاز الكثيرين من تلاميذه في مصر وتونس وغيرهما.

وكان ابن العنابي معتنياً بالحديث محباً له، وكان يُقرئه، ولا سيما صحيح الإمام البخاري، فيظهر أنه أقرأه مراراً، ومما أقرأه أيضا أطراف الكتب الستة، وهذا قد يكون موجوداً عند غيره من معاصريه، ولكن نجده أيضاً أقرأ تلميذه الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في كتاب الأحكام الكبرى لعبد الحق الإشبيلي، وانتخب كتاباً من أحاديث صحيح ابن حبان، وآخر من زوائد سنن البيهقي، وهي كتب متخصّصة قلّ من اعتنى بها في وقته، وله كتاب آخر انتقى فيه من الصحاح، وهذه جهود نادرة في وقت كان فيه علم الحديث غريباً.

2-5- وظائفه:

2-5- 1-في الجزائر:

2-5- 1-1-القضاء والإفتاء:

أما وظائفه فكان أولها منصب القضاء الحنفي وهو من المناصب الخطيرة والهامة التي تتطلب من صاحبه سعة العلم والاطلاع، فقد ولاه الداي أحمد باشا هذه الوظيفة سنة 1208هـ وهو دون العشرين وبالضبط 18 سنة[12]، بالإضافة إلى مهمة ثانية وهي الكتابة إلى باي تونس،، ولم تمضِ سنتان حتى استقال من منصبه، أي سنة 1210هـ، ومرد ذلك، كما يقال، أنَّ داي الدولة الجزائرية الداي حسن باشا(1791-1797) تدخل في شؤون القضاء، حيث ألزمه بأمر ينطوي على مخالفة للشرع، فرفض، وهذا يدل على ورعه واستقلاليته وقوته في قول الحق. وبعد أشهر وفي نفس السنة وفي عهد الداي عمر باشا ولي القضاء ثانية وبقي فيه ثلاث سنوات، أي إلى سنة 1213هـ، وهي السنة التي توفي خلالها مفتي الجزائر محمد بن عبد الرحمن، فتولى مكانه، وذلك إلى سنة 1236هـ[13].

2-5- 1-2- السفارة:

وكانت للعنابي مراسلات كثيرة لكثرة مراسليه الذين يطلبون منه الرأي أو الفتوى أو الإجازة، أو غيرها من المراسلات كما اتسمت شخصيته بالروح الدينية والفكر الاقتصادي والسياسي، فكان له دوره الديني والسياسي. وقد لعب دوره الأول وهو يباشر وظيفة الإفتاء ويتصدر للتدريس ويمنح الإجازات لتلاميذه والمعجبين بعلمه، أما الدور السياسي فيتمثل في صلته بدايات الجزائر وفي موقفه من الاحتلال الفرنسي لبلاده، إذ حمل مع عالم آخر هو مفتي المالكية ابن لكبابطي لواء المقاومة الثقافية للاحتلال الفرنسي، الذي عندما عجز عن اسكات صوتيهما الذي كان يصدح بالحق أمام نظام محتل وحاكم جائر وأيضا اخفاقه في احتوائهما بالمناصب وأنواع الإغراءات الأخرى، أقدم على نفيهما وإبعادهما من الجزائر إلى مصر.

حيث كلفه الداي بسفارة للمغرب الأقصى والتي نجح فيها نجاحا باهرا اكسبته مكانة كبيرة في القصر الدايلكي، كما أرسله الداي سفيرا في مهمة أخرى إلى عاصمة الخلافة الأستانة بعد المواجهة بين الأسطول البحري الجزائري والأسطول الإنكليزي سنة 1816م والتي شهدت خسارة بعض قطع الأسطول الجزائري ليشرح للخليفة أسباب هذه النكبة ويطلب منه العون، كما تولى أيضا ووظائف أخرى كنقابة الأشراف.

2-5- 2-خارج الجزائر:

2-5- 2-1-الإفتاء بالإسكندرية بمصر:

ما غادر الجزائر إلى مصر مضطرا لا مخيرا بسبب مضايقات السلطات الاستعمارية وتحريض عملائها، استقر به المقام في الإسكندرية والتي سبق له الاقامة بها من قبل لمدة تسع سنوات حاجا، أستاذ وإماماً (1235- 1244هـ/ 1820- 1829م)، وقد سمع به حاكم مصر محمد علي وكان قد أطلع على كتابه " نظم الجنود " فرحّب به، وخصّه باهتمام لكفاءته العلمية وجديته، وروحه الإسلامية، وإخلاصه في رأيه وعمله، فأسند إليه وظيفة الإفتاء الحنفي في الاسكندرية بعد وفاة مفتيها الشيخ خليل السعران.

وحينما تولى ابن العنابي منصب الإفتاء، كانت الإسكندرية كما غيرها تعاني مشاكل عدة سببها كثرة المفتين على اختلاف المذاهب، مما تسبب في حدوث فوضى في مجال الفتوى، فتضايق محمد علي أواخر أيامه من هذا الأمر، وأمر ابن العنابي أن يؤلف كتاباً يجمع فيه ما رجح من أقوال الأئمة الأربعة ويُعتمد في القضاء، فألّف كتابه: "صيانة الرياسة في القضاء والسياسة"، الذي كتب منه 10 كراسات[14].

وحينما يلقى العالم المصلح الحظوة التي لقيها ابن العنابي، كثيراً ما يتعرض هذا العالم المصلح للابتلاءات والمكايد، ولا سيما إن عظمت رتبته في العلم، وكان قويًّا في مواقفه وإنكاره على المتسترين والمتاجرين بالدين لمصالحهم الخاصة.

وحدثت الرد السياسية الأكبر والمحنة الأعظم بتولي عباس الحكم مكان أبيه سنة 1266هـ وازدادت في عهد ابنه سعيد من بعده بحيث أجهضت حلم الرجل: فقد سعى بعض المشايخ من أصحاب المصالح الشخصية في إبطال هذا الكتاب، وما زالوا يكيدون له عند الحاكم[15] حتى نقم عليه وعزله سنة 1266هـ، موجهين له اتهامات عديدة، منها اتهامه بتقليد الكفار وبأنه زنديق خارجي وهي من التهم التي الصقت بأمثالُه من المصلحينَ الداعين للسنّة والمنكرين المحاربين للمتسترين بالدين والمرتزقين من الفتاوى، فهمش وأهين، كل بقصد المحافظة، كما يقول عبد الحكيم بك، على: " ارتزاقهم من الفتاوى على الاختلاف في المذاهب وأقوالها"[16]، وولّى مكانه تلميذه الشيخ محمد البنّا، فأقام ابن العنابي معتزلاً في بيته، لا يستقبل إلا بعض المقربين منه وتلامذته، كأبناء بلده الجزائريين العلماء الذين هربوا من بطش الاستعمار الفرنسي كمحمد الأرناؤوط الفقيه الحنفي ومصطفى بن الكبابطي[17]، لدراسة مسائل علمية أو لفتوى دينية حتى وفاته.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن المفتي ابن العنابي كان على تواصل مع ابن لكباطي مصطفى، الذي تولى هو الآخر عدة وظائف منها القضاء والإفتاء المالكي في عهد الاحتلال، وقد

وقف بن لكبابطي موقف المعارض للاحتلال فيما خص ضم الأملاك الوقاف إلى الأملاك العمومية متهما الفرنسيين بعدم احترام لتعهداتهم، ومن ثمة ضيقت عليه إدارة الاحتلال وحاولت اغتياله كما عملت على نفيه وسمحت له سلطات الاحتلال بالعودة ثانية ضانة انه سوف يتوقف عن معارضته لها، ولما يئست أصدرت امرا بنفيه إلى مصر وكان ذلك عام 1843، وفي منفاه الاضطراري التقى بابن بلاده ابن العنابي الذي أكرم وفادته، بل وتدخل لدى محمد علي حاكم مصر فأقر له راتبا شهريا[18].

2-5- 2-2- التدريس بالجامع الأزهر بمصر:

إلى جانب توليه الإفتاء استمر في ممارسة التدريس في الجامع الأزهر حيث التفّ حوله الطلبة والمثقفين المصريين والتونسيين، وسواهم، مستفيدين من عمله وفقهه ورأيه، فأخذ عنه علماء من أهل الإسكندرية ومن خارجها، مثل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ الذي زاره سنة 1247 هـ، وكذا محمد القاوقجي ومحمد بيرم التونسي ومحمد بن علي الطحاوي المصري الذين أجازهم، وممن أخذ عنه: أحمد التميمي الخليلي مفتي القاهرة، ومحمد البنا مفتي الإسكندرية، وعلي البقلي، وخليل الرشيدي، ومحمد الكتبي، ومحمد الملّاح الإسكندري.

والحقيقة أن ابن العنابي لم يكن مجرد عالم بالفقه والحديث وما تصل به من العلوم الشرعية الأخرى، بل كان أيضا دبلوماسيا ناجحاً وخبيراً محترفا في شؤون العلاقات بين الدول.

3-- نشأة الجهاز القضائي وجهاز الفتوى الجزائري:

3-1-الجهاز القضائي:

بعد 1518 أقامت سلطات الجزائر نظاما قضائيا مختلفا عن النظام التقليدي ومتماشيا مع متطلبات المرحلة الجديدة ومراعيا لخصوصياتها. نشأة هذا الجهاز العدلي لم تكن على حساب الجهاز العدلي التقليدي، بل بحفظ استمرارية التعامل به باعتباره ارثا حضاريا ولبنة مهمة في الصرح القضائي الجزائري القائم على الثنائية المذهبية، بل التعددية المذهبية[19].

3-2- جهاز القضاء التقليدي:

لقد كان السكان في المغرب الأوسط وخاصة في القرى والبوادي، يلجؤون في حل مشاكلهم وفض نزاعاتهم مهما كان حجمها ونوعها إلى شخصيات مشهور لها بالعلم، التقوى والصلاح. وهذه الشخصيات أعطيت لها تسميات تختلف باختلاف نوعية النزاع فنجد[20]:

– الجواب وبيبان المعارف: يلجأ المتخاصمون إليهما لحل الخلافات التي تقع بين الفلاحين، الخماسة والرعاة،

– شيوخ الزوايا: يقوم هؤلاء الشيوخ بالفصل فيما يعرض عليهم من قضايا ذات علاقة بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث وأيضا ما تعلق بالنزاعات الملكيات والأرسام،

– الأئمة: لم يكن في الواقع لهؤلاء مسؤوليات قضائية، ولكن كثيرا ما كان يطلب منهم المتخاصمون الإدلاء بآرائهم، في كثير من الحالات، لحسم خلافاتهم بعيدا عن أروقة القضاء،

الجماعة: الجماعة تمثل "هيئة القضاء" في منطقة القبائل والأوراس ومناطق أخرى. لقد كانت الجماعة تعتمد على أحكام الشريعة والعرف في حل الخلافات المعروض ة عليها، خاصة ما يتعلق بجرائم القتل والقضايا التي تمس الشرف والعرض. وبعد الاحتلال أنشأت فرنسا بموجب القرار الصادر في 15 رجب عام 1251/ 28 أوت 1874، نظام جماعة خاص ببلاد القبائل ليحل محل نظام الجماعة التقليدي، والمحاكم الشرعية، وتبنى أحكامه على العرف والتقاليد دون مراعاة أحكام الشرع[21].

3-3-الجهاز القضائي المستحدث:

هذا الجهاز القضائي تم إنشاؤه ليواكب الانتقال من مجتمع القبيلة إلى مجتمع الدولة-الأمة وينقسم إلى فرعين: مدني وعسكري. والمدني تتنوع محاكمه بتنوع التركيبة المذهبية للمجتمع الجزائري، وتبعا لذلك تم إنشاء ثلاثة محاكم تعمل وفق ما يقتضيه كل مذهب:

-**المحاكم المالكية:** تنظر في القضايا وفق مذهب الإمام مالك، الذي تتبعه الغالبية العظمة من سكان الجزائر،

-المحاكم الحنفية: تختص فيما يعرض عليها من قضايا وفق مذهب الإمام أبو حنيفة، الذي يعتبر المذهب الثاني في الجزائر، وأتباعه غالبيتهم من الجزائريين من أصل تركي أو عثماني وقلة من أصول أندلسية،

-**المحاكم الإباضية:** تعالج هذه المحاكم ما يعرض عليها من قضايا وفق المذهب الإباضية وتخص أتباع هذا المذهب، المتمركزين في وادي ميزاب[22].

ومما يجدر ذكره في هذا الصد أن هذه المحاكم وخاصة المالكية والحنفية مفتوحة أمام الجميع بغض النظر عن المذهب الفقهي الذي ينتمي إليه المتخاصمون، حيث بإمكان الحنفي ان يذهب للتقاضي أمام المحكمة المالكية والعكس. ومن ثمة فهذه الثنائية القضائية لم تشكل في أي وقت من الأوقات عائقا أمام تواصل الجزائريين فيما بينهم، بل على العكس كانت عامل تكامل عاد بالنفع على جميع أفراد المجتمع.

-**المجلس القضائي الخاص**: يوجد هذا النوع من المجالس القضائية على مستوى البايليكات

لإعادة النظر في الأحكام التي أصدرتها المحاكم المذكورة أعلاه، بمعنى انها جهة طعن. تعقد هذه المجالس جلساتها كل يوم جمعة للنظر فيما يقدم أمامها من طعون ويترأس هذه المجالس الباي أو قائد الدار[23]. الأحكام الصادرة عن هذه المجلس غير ملزمة للقاضي الابتدائي الذي بإمكانه التمسك بحكمه الأول. وأمام هذا الوضع لم يبقى أمام الطاعن إلا اللجوء كإجراء أخير، إلى طلب التماس والذي في حالة قبوله يتداول بشأنه مجلس الإفتاء الذي يسمى مجلس المناظرة، المجلس الشريف، المجلس العلمي، المجلس الشرعي[24] وأيضا مجلس الشرع العزيز[25].

وبما أن هذه الثنائية القضائية مثلت آلية تواصل وتكامل وإحقاق الحق بين الجزائريين وإرساء دعائم الأمن والاستقرار في أنحاء الجزائر من دار السلطان إلى تقرت، فقد اتخذ الجنرال الفرنسي برتراند كلوزال (Bertrand Clozel)، الذي حكم الجزائر بين 1835 و1836، قرارا بإلغاء القضاء الحنفي. إن هذه الحقيقة يؤكدها كلودو بنانتي وهو أسير سابق في الجزائر، بقوله: " أعتقد أن النظام القضائي الجزائري يبدو مفضلا لكل أولئك الذين، في بلداننا المتحضرة، عانوا من اجحاف القوانين وظلمها. هذا النظام كان بدون شك جدير بالشهرة"[26].

3-4- الجهاز الإفتائي أو مجلس المناظرة:

يتشكل هذا المجلس، الذي يعتبر رأس السلطة الشرعية والقضائية في الجزائر من مفتيين قاضيين وكاتبين برتبة باش عادل وعلماء[27]. كما ضمت تشكيلة المجلس عضوا عسكريا يسمى الآياباشي، الذي اعتبر عين السلطة وسط هيئة الإفتاء بمدينة الجزائر، حيث ورد في جلّ عقود المرافعات بهذه الهيئة العبارة التالية: "وبمحضر باش ياباشي في التاريخ الموجه من قبل العسكر المنصور لحضور المجلس المسطور ".[28]ومن أهم المعلومات التي تحفظها هذه العقود أنّ جلسات هيئة الإفتاء بالجامع الأعظم لا تنعقد إلاّ بحضور هذه الشخصية، حيث يصف دوفولكس(Devoulx) حضور العضو العسكري بإضفاء الهيبة على المجلس العلمي[29]، ومن ضمن المهام الموكلة إليه حفظ الأمن داخل المجلس وإلزام المتقاضين بتطبيق الإجراءات القضائية، إذ يُلمس ذلك من خلال عبارة: " وتمّ لديه سببه على عين الوكيل المذكور وإذعانه لذلك بمحضر باش ياباشي "[30]. ولم يكن الآياباشي وحده من يحضر هذا المجلس، بل كان أهل الخبرة عناصر فاعلة في سير جدول أعماله، إذ يتم تدخلهم للفصل في الأمور التقنية والمعمارية أو في النزاع القائم حول قيمة العناء أو تحديد مبلغ عقار ما سواءً أكان أرضا للمزارعة أو داراً أو دكانا أو غيرها من العقارات، لأجل هذه المسببات التي قد يترتب عنها إجحاف في الحق العام كان أهل الخبرة وفي مقدمتهم البنائين[31].

يعقد جلساته[32] يوم الخميس من كل أسبوع[33] في الجامع الكبير. وأقدم وثيقة تخصّ عقد

مرافعة نظر فيها المجلس العلمي بالجامع الأعظم تعود إلى عام 1104هـ/1693 يتضمن موضوعها ما تمّ تحصيله من غلال أوقاف الحرمين الشريفين مسجل حسب الأشخاص.[34]

وتتمثل مهام هذا المجلس في عديد الأمور، نذكر أهمها[35]:

-إصدار الفتاوى في القضايا الشرعية

-مراجعة الأحكام التي أصدرها قضاة المحاكم الابتدائية،

-الاستماع لتظلمات كبار المسؤولين،

-تعيين ناظر الأوقاف،

-تعيين ناظر المعارف.

-اقتراح القضاة والموافقة على تعيينهم[36]

الحكم الصدر عن هذا المجلس غير قابل للطعن، ومن ثمة يصبح القاضي الذي أصدر الحكم المتداول بشأنه ملزم بإعادة النظر في حكمه تنفيذا للحكم الصادر عن المجلس[37].

يتم اختيار المفتي المالكي والمفتي الحنفي بعناية من طرف الحاكم، حيث يشترط فيهما أن يكونا من ذوي التقوى والعلم الواسع. ويترأس المفتي الحنفي مجلس الإفتاء ويقوم بقراءة نص البيان الدستوري عند اختيار حاكم جديد للبلاد من طرف الديوان الكبير وزيادة على ذلك يحضر المفتيان جلسات الديوان الصغير أي مجلس الحكومة[38].

وظل هذا المجلس يباشر مهامه حتى بعد احتلال الجزائر، وقد ضمت سلطات الاحتلال إلى تشكيلته شخصية فرنسية، فبدأ بذلك يفقد هيبته وخصوصيته، وانتهى الأمر بحله بقرار استعماري عام 1882.

هذا هو الجهاز القضائي والإفتائي الذي مارس فيه العلامة ابن العنابي ولمدة طويلة وظيفة القضاء والإفتاء مرعيا في ذلك مخافة الله وضميره وكان لا يتردد في قول الحق مهما كانت قوة التدخلات، كما حدث مع الداي حسن باشا، حين رفض الاستجابة لطلبه الذي رأى فيه مخالفة للشرع.

وكان المفتيان محل تبجيل واحترام في جلّ عقود المرافعات وذلك على النحو التالي: ..." المجلس العلمي المنعقد بالجامع الأعظم عمره الله بذكره حضره الشيخان الفقيهان العالمان الخطيبان البليغان المدرسان الواعظان الإمامان الهمامان السيدان المفتيان وهما الفقير إليه سبحانه (الفقيه الحنفي) لطفه الله به يمنه والفقير إليه سبحانه (الفقيه المالكي) لطف الله بمنه"[39].

4- مقاومة مشاريع الاحتلال الفرنسي:

انطلقت الحملة الفرنسية الصليبية من ميناء طولون في 25 ماي 1830 تجاه الشواطئ الجزائرية التي وصلتها يوم 13 جوان 1830م وشرعت في عملية الإنزال مباشرة في اليوم الموالي، وقد واجهتها جيوش الداي حسين بقيادة صهره إبراهيم باشا الذي لم يكن يملك لا الخبرة العسكرية ولا الحنكة القيادية، فانهزمت جيوشه وفر مع بعض مقربيه إلى ضواحي التيطري، وكانت لعملية فرار ابراهيم باشا قائد الجيش الجزائري انعكاسات سلبية وخطيرة على معنويات الجيش مما دفع بالداي حسين إلى استدعاء المفتي محمد بن العنابي ليطلب منه جمع الشعب واقناع الناس بالجهاد دفاعا عن الاسلام والبلاد وقيادة المقاومة لعرقلة تقدم الغزاة الفرنسيين، ولا شك أن هذا التعيين مرده ثقة الداي حسين في شخص ابن العنابي وقدرته على التعبئة والدعوة للجهاد وليس لكفاءته العسكرية[40].

قبل ابن العنابي بالمهمة وتقدم الصفوف، ونجح مع الداي في إعادة تجميع الصفوف من جديد ورفدها بالمجاهدين، والتقى الجيش الفرنسي مع الجيش الجزائري في معركة سطوالي الشهيرة، والتي حتى الساعة 11.45 كانت بشائر النصر تلوح في الأفق وبدأ الجنود الفرنسيين في التراجع تاركين جثث قتلاهم على قارعة الطريق، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان إذ انسحبت فرقة المقاتلين الزواوة[41] من ميدان المعركة وافرادها يصرخون "لقد هزمنا، لقد هزمنا"، فتشتتت الصفوف وعاد الفرنسيون إلى الميدان يلاحقون أفراد الجيش الجزائري الفارين. وهكذا حسم الموقف لصالح الفرنسيين، فاضطر الداي إلى توقيع معاهدة الاستسلام. وبعد هذه الواقعة الأليمة لزم ابن العنابي بيته واتخذ موقف المؤيد للفرنسيين ظاهريا محاولا ما أمكنه إلزام قوات الاحتلال بما تقتضيه المعاهدة التي أمضاها الداي حسين وقائد قوات الاحتلال الجنرال الفرنسي كلوزيل.

ولكنه في واقع الأمر كان على تواصل بزعماء القبائل وكانوا هم الآخرون على تواصل معه من أجل تنظيم المقاومة والجهاد ضد المحتلين الكفار، خاصة وأنه عايش مراحل الاحتلال، الذي سبقه حصار بحري لاإنساني دام ثلاث سنوات، مع ما يرافق أمثال هذه الأحداث من تقتيل إجرامي وتعذيب وطرد ونفي وتهديم للممتلكات وانتهاك للحرمات وتدنيس وتدمير للمقدسات. وقد تفطنت له السلطات الاستعمارية، فتم توقيفه وسجنه بأمر من كلوزيل.

ولما لم ينفع معه الترغيب والترهيب، اقتحموا حرمة إقامته[42]، ولما استشعر مجيئهم قام على الفور برمي الوثائق والمراسلات في بيت الخلاء، ففتش العساكر المنزل ولم يجدوا شيئا، فغادروا المكان، ولكن ظلوا متربّصين به، ويصرّحون بخطره عليهم وتأثيره على الأمن العام في البلاد

وتحريضه للأهالي على الثورة. وهكذا أصبح ابن العنابي موضع شبهة من سلطات الاحتلال خاصة عندما طلب منه الحاكم العسكري الفرنسي كلوزيل تسليم بعض المساجد والممتلكات الوقفية لتحويلها إلى ثكنات، مخازن ومستشفيات للجيش[43] فلم يجد انصياعا منه، على غرار من تعامل معهم من العلماء[44].

وقد اتسمت لهجة ابن العنابي بالنقد للسلطات الفرنسية على خرقها للاتفاق الموقع بين الداي حسين والكونت دي بورمون وخاصة المادة الخامسة [45]من الاتفاق، مما جعل كلوزيل يضيق به ذرعاً، فقرر وضع حد له، وبالفعل تم إلقاء القبض عليه من طرف رجال الدرك وقادوه إلى السجن، كما أهينت أسرته بدعوى تدينه والتخطيط لتدبير مؤامرة ضد الفرنسيين، وإعادة الحكم الإسلامي للجزائر[46].

ولما عجزوا عن وجود دليل مادي ضده لجأوا إلى استدراجه في الكلام وذلك بإرسال من يتجسس عليه من العملاء والمتعاونين مع الاحتلال من أبناء جلدته لتوريطه: فقد اسر ذات مرة في جلسة جمعته مع من كان يتواصل معهم حول مقدرته على تسلُّم زمام الحكم وتنظيم جيش كبير يبلغ ثلاثين ألفاً، فسُجن، وتعرض وأسرته للإهانة له، وأمر الجنرال الفرنسي كلوزيل بنفيه فوراً، ولم يُمهله وقتاً كافياً لترتيب أموره، ولم يحصل له حمدان بن عثمان خوجة، كما قيل، على مهلة عشرين يوما من أجل بيع أملاكه وتصفية ديونه إلا بصعوبة كبيرة، ثم ترك الجزائر لآخر مرة قبل نهاية عام1247هـ/ 1831 متجها إلى مصر ، ليس فقط بسبب هذه المضايقات، بل أيضا تخوفه من وشايةِ مبغضيه وما أكثرهم واختلاقِهم رسائلَ على لسانه ضد الفرنسيين، فقد كان منشغلاً بالتحريض على جهاد المحتلّ الصليبيّ، وهؤلاء يستغلون تسلُّط العدو ويضعون أيديهم في يده لتحقيق مصالحهم الشخصية وتثبيت أركانهم والتخلُّص من المكدِّر عليهم صفوهم، حتى لو كان أحد رؤوس الأمة والمخاطرين بحياتهم لأجل نصرتها.

1-4- مؤلفاته:

المعروف، كما سبق وأن ذكرنا، أن ابن العنابي عالمٌ في المذهب الحنفي، وقد ألّف فيه، وكان قاضيا ومفتياً لفترة طويلة، ولكن ما يعرف عنه أنه لم يكن متعصباً للمذهب ولا جامداً في نصوصه، فاستدلاله بالحديث كثير، ولا سيما في كتابه نظام الجنود، وهو ينص على عبارات تفيد الترجيح عنده، وهو يناقش الأقوال الفقهية، بل إنه نص في فتاواه أن التزام مذهب معين ليس لازماً ولا واجباً. وقد ألف كتاباً في الراجح من المذاهب المتبوعة، وقد اعتُمد على هذا الكتاب في القضاء مدة، وقد وقف ضده الجامدون من أصحاب المصالح الشخصية.

مؤلفات ابن العنابي كثيرة ومتنوعة، وهي على النحو التالي:

- السعي المحمود في نظام الجنود، وهو أجلّ مؤلفاته وأشهرها.
- صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة.
- شرح "الدر المختار" (في الفقه الحنفي)، وصل إلى ثلثيه، وقرَّظه عالم تونس محمد بيرم الرابع.
- العقد الفريد في التجويد.
- التوفيق والتسديد في شرح الفريد في التجويد.
- إمعان البيان في بيان أخذ الأجرة على القرآن.
- شرح التوحيد للبركوي، لم يتمّه.
- خاتمة في التوحيد.
- المقتطف من الحديث، اقتطفه من صحيح ابن حبان.
- المنتقى من الصِّحاح، في الحديث.
- المنتخب من فوائد المنتقي لزوائد البيهقي للبوصيري، أفادني أحد الفضلاء أنه بخط المترجَم في دار الكتب المصرية.
- التحقيقات الإعجازية بشرح نظم العلاقات المَجازية، في البلاغة والأدب.
- رسائل ثماني عشرة في وقف العقار.
- رسالة في أداء زكاة الفطر.
- رسالة خاصة بالمرأة[47].

وله أيضاً فتاوى كثيرة منثورة، وإجازات متعددة، ومراسلات مع العلماء والساسة، وله أيضاً تقاريظ وتعاليق على بعض الكتب.

4- 2-جهوده وآراؤه الإصلاحية من خلال كتاب "السعي المحمود في نظام الجنود":

العلامة ابن العنابي من الأوائل الذين طرقوا باب الاجتهاد، الذي ظل مغلقا عدة قرون، نتيجة التأخر الفكري الذي كان عليه العالم الإسلامي، كما عالج أيضا قضية جمود عقلية علماء المسلمين أمام تقدم العقل الأوروبي، وتخلف الجيوش الإسلامية أمام زحف الجيوش الأوروبية الصليبية.

وقد تميزت المرحلة التي عاش فيها ابن العنابي بكونها مرحلةَ ضعفٍ وسير نحو الانحطاط في البلدان الإسلامية في مختلف النواحي، وكانت الجيوش الصليبية في أوروبا تتربص للإغارة على هذه البلدان، وباتت نياتهم واستعداداتهم جلية: فقد عاصر ابن العنابي في بلاده الجزائر حروباً خارجية، بالخصوص في مواجهة إنكلترا وأمريكا، وفرنسا في النهاية، وقد كانت مواجهة المصير حيث الحقد الصليبي المناهض لكسر شوكة القوة الجزائرية خاصة في البحر الأبيض المتوسط. وكرد

فعل على هذا الواقع وغيره انطلقت كتابات رائدة لرجال فكر مستنيرين: تعالج أسباب القوّة والغلبة لدى الآخر، أي الأوروبي الغازي، وأسباب الضعف والهوان في الأمة الإسلامية، فتنوعت القضايا واختلفت باختلاف مشارب المؤلفين وإمكاناتهم، في الدعوة الملحّة للأخذ عن الغرب في: الفنون والعلوم، والاقتصاد، والقانون، والسياسة، والدفاع وغيرها. وكان ابن العنابي في مقدمة المفكرين المسلمين القلائل الذين انفعلوا بأحداث عصرهم وتنبهوا للأخطار المحدقة بالأمة، ومن ثمة كان من أوائل المبادرين للمقاومة باللسان وبالقلم داعين للاستفادة من إمكانيات الغرب وخاصة في المجال التقني والتقني العسكري على وجه التحديد[48].

ومما يجر ذكره في هذا الصدد أن ابن العنابي قد ألف كتابه القيم "السعي المحمود في نظام الجنود" سنة 1242هـ/ 1826 فسبق بذلك كتاب الطهطاوي "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" بنحو خمس سنوات، فبدا متقدماً عليه في هذه الدعوة للأخذ بأسباب القوة المادية والقانونية من الغرب، كما بدا متقدماً عليه فكرياً وسياسياً، وأسلوبياً أيضاً، بعبارته الخالية من الترهّل والحشو والاستطراد.

وتأليفه لهذا الكتاب تم حين نزل مصر في إحدى حجّاته خلال تلك السنوات التسع التي قضاها بعيدا عن بلده، قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر بحوالي أربع سنوات. وهو كتاب نادر في موضوعه، كتب بأسلوب سهل وعبارات خالية من الترهّل والحشو والاستطراد، عكس ما كان معروفا من كتابات عصره، يحتوي على مشروع إصلاحي كبير وأفكار نيرة تخدم المجتمعات الإسلامية، أظهر فيه صاحبه آراء جريئة، فهو من أوائل علماء المسلمين الذين طرحوا قضية التجديد في النظم الإسلامية في القرن 13 هـ/19.

وفي تغريبته الثانية بمصر، نتيجة قرار الإدارة الاستعمارية الفرنسية الظالم في أواخر السنة الأولى للاحتلال سنة1247هـ/1831، وصلت أخبار ابن العنابي إلى مسامع حاكمها محمد علي (1183-1266هـ/ 1769-1849) فقرّبه منه، فأعجب اعجابا كبيرا بكتابه "السعي المحمود في نظام الجنود" فرآه كتاباً متقدماً جداً، بمادته، ومنهجه، خصوصاً أن محمد علي في هذه المرحلة(1247هـ/ 1831) كان يعطي الاهتمام الأول والأكبر للجيش ومرافقه، فرحّب بابن العنابي، وخصّه باهتمام لكفاءته العلمية، أهمية رؤاه الإصلاحية، فكره الإسلامي الثاقب، وقوة رأيه وإخلاصه في الفعل والقول، فأسند إليه وظيفة الإفتاء الحنفي في الاسكندرية مع ممارسته التدريس في الأزهر، اين التفّ حوله كوكبة من الطلبة والمثقفين المصريين والتونسيين، وسواهم، مستفيدين من عمله ورأيه وفكره، فاقترح محمد علي نفسه على أحد تلاميذ ابن العنابي وهو الشيخ

إبراهيم السقا تلخيص كتاب "السعي المحمود..." ليسهل تداوله واستيعابه، ففعل ذلك، وأعطى لما لخصه عنواناً يعبّر عن غايته بـ"بلوغ المقصود: مختصر السعي المحمود".

وما يمكن قوله أن مؤلفات هذا العالم تتضمن دعوات صريحة لضرورة محاربة الخرافات والدجل وأيضا لتجديد وإصلاح في النظم العسكرية والسياسية والعدلية على هدي الإسلام، ومن جهة أخرى يرى بجواز تعلُّم العلوم الآلية من الكفرة دون التأثر بهم في الدين والفكر[49].

وعنوان الكتاب يدل على محتواه، فهو كتاب في سياسة الرعية، ونظام الدولة، وفي وجوب تجديد الجند أو الجيش الإسلامي وإعداده إعداداً قوياً لحماية الأوطان من الأخطار الخارجية، وبالاستفادة من النظم الغربية نفسها في إعداد الجيوش تدريباً وتسليحاً، مع قوانين مضبوطة، فضلاً عن العمل بما يأمر به الشرع من عدل وإصلاح، تمكيناً للقيم الأصيلة في حضارتنا الإسلامية، انطلاقاً من النص القرآني ذاته، في مثل قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }[50]، وهي الآية التي يوردها ابن العنابي ليتبعها بقوله: "اعلم أن هذه الآية الكريمة من أبدع جوامع كلم القرآن وأظهرها إعجازاً، لفظاً، ومعنى، لانتظامها جميع الأدوات والأسباب الحسية والمعنوية الموروثة، قوة ظاهرة أو باطنة تنتج إرهاب الأعداء. "

فكانت مادة الكتاب على النحو التالي:

" -في اتخاذ الجند وتجنيده" وترتيبه، وتصنيفه، وضبطه، وأمر قوّاده وعرفائه، وتسويمه، أي أساليب منح الرتب والأوسمة العسكرية، وهندامه، من تضييق في "ملابس الجند وتقصيرها مما يتيح الحيوية والحركة التي تعوقها الملابس الفضفاضة. ثم هناك ضبط عملهم، وتعيين مواقفهم، وعقد الألوية والرايات وما يتعلق بها من:

-"التدريب على الأعمال الحربية" فضلاً عن موضوع إعداد الحصون، والخنادق، والأسلحة، وعدة الرمي كما يصرّح ذلك الفصل الحادي عشر من الكتاب، المتبوع بفصلي:

-"حيل الحرب" و"الحزم" فيها: استعداداً لها، وخوضاً لغمارها برجال على قدر عال من الكفاءة، ذوو ثقة بالنفس وبالوطن وبنظام سياسي ينتفي فيه الظلم، ويعمّ العدل، ويشيع حكمه الأمن الاجتماعي، والأمان الإنساني.

ويلخص رؤاه في السياسة الدفاعية بقوله إنها تعني:

- " كل ما أنتج قوة محسوسة أو معقولة على دفاع الأعداء وارهابهم واغاظة نفوسهم، فكل هذه أمور شرعية لأن فيها إذلال الكفرة وعز الاسلام وعلو كلمته وانه المقصود الاعظم من شرعية الجهاد "

-"كل ما فيه إعزاز للإسلام وقوة لأهله فهو أمر مشروع بقطع النظر عن مصدره ومصره "

-" كل ما فيه منفعة لها تعلق بإعزاز الدين ورفعة أهله مما اشتمل عليه النظام المستجد للكفرة عن ترتيب العساكر وتصفيفهم، وحصر اعدادهم وتعديد قوادهم وعرفائهم، ولتسويم أصنافهم وكبرائهم بخصوص لباس أو علامة وتضييق ملابسهم وتقصيرها ...وغير ذلك مما قد تدعو اليه الحاجة فهو أمر مشروع."

وكان ابن العنابي صريحا في وجوب الأخذ عن الأوروبيين ما تفوقوا فيه علينا، وقال انه ليس من البطولة والرجولة في شيء أن يتقدم الأعداء ويظل المسلمون في حالة جمود بحجة أن ذلك لم يرد في النصوص أو لا يجوز تقليد الكفار، وهذه عبارته: ... "وانهم اذا ابتدعوا من أدوات الحرب وصنائعه أمر له موقع لا تؤمن استطالتهم به علينا لزمنا بذل الوسع في تعلمه واعداده لهم والاستعداد في مجاوزتهم فيه، وأنه اذا لم يكن استعلام ذلك إلا من قبلهم وجب استعلامه منهم لأنه مستطاع لنا، وانهم إذا اعدوا لنا صواعق البارود فأعددنا لهم القسي والمنجنيق الذين صارا اليوم كالشريعة المنسوخة أو اقتصرنا على السيوف والبندقيات أو شمروا لنا الثياب فأعددنا للقائهم الثياب المجررة والأكوام المطولة والعمائم المكبرة لم نخرج عن عهدة الامر ولزمنا الاثم والعار، فلا غرض الشارع حصلنا ولا سبيل الرجولة سلكنا".

ثم ينتهي إلى ما طابعه سياسي وفكري، واستراتيجي، فيعلن[51]:

-"جواز تعلم العلوم الآلية من الكفرة"، بل وجوبها، وقبل ذلك كما يؤكد في الفصل الخامس عشر ضرورة .

-"اجتماع الكلمة والاتفاق" فلا قوة لنظام، لا لجيشه ولا لحكمه في حضور (الاختلاف) و(الخلاف) السلبي منه بالخصوص، كما أنه لا جدوى من قوة ولا نجاعة لسياسة في نظام تكبر فيه المظالم، وينعدم العدل، وتضيع حقوق المواطنين، وهو ما ركّز عليه الفصل الرابع عشر بعنوان:

-"في رحمة الضعفاء وإجراء العدل، وبذل الحقوق لمستحقيها" كواحد من مصادر القوة لنظام لا يخاف شعبه، بل يخيف الأعداء بشعبه القوي، بإيمانه وثقته التامة الموصولة، في حكمه: الصارم، العادل، المخلص في سياسته لله وللوطن، وإرضاء الضمير الديني والوطني، معرضاً بأسباب سقوط الأنظمة التي يشيع فيها الظلم، والكذب، وإهمال العلم ورجاله، وتقريب الطفيليين المرتزقة، وذوي (اللهو) و(اللعب) و(الطرب) كما يقول، معتمداً في ذلك النص القرآني والحديث النبوي، محذراً بذلك كله "الحكام من الظلم والاستبداد، والجور في الأحكام، ومنع الناس حقوقهم، وإيثار من لا يستحق، مما يعتبره ابن العنابي هنا من

-"أسباب خراب الملك وزوال الدولة" وفي ذهنه مآل الدولة العباسية التي حظي فيها "المغنون "و " أهل اللعب والبطالة" بالرعاية، وأهملت الرعية.

ويرى في ذلك أربعة شروط في الحاكم المرضي عنه من الله، والعباد، وهي:

- إقامة العدل.
- إظهار شعائر الدين.
- نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم، وكفّ يد القوي عن الضعيف.
- مراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة والمستضعفين.

وكان لهذا الكتاب وما احتواه من أفكار أثر كبير في الاوساط السياسية والدينية في عصره، ومن الذين قرأوه والي مصر محمد علي باشا فأعجب به وبرؤية الرجل الإصلاحية، وفكره الإسلامي الثاقب، ومواقفه الصلبة، وصدقه في الفعل والقول؛ وبموضوع الكتاب، ومنهجه، فأمر بتدريسه وتلخيصه ليسهل تداوله واستيعابه، وأمر بتعميمه وايصاله إلى المصالح المختلفة في الدولة، فقام تلميذ العنابي الشيخ سيد ابراهيم السقا بهذه المهمة وأعطى لما لخصه عنواناً يعبّر عن غايته هكذا " بلوغ المقصود اختصار السعي المحمود " واضاف عليه حواشي وتوضيحات[52].

وما جاء في هذا الكتاب هي في الواقع رؤى استمدّ فيها ابن العنابي أوامر الشرع الكريم وقيم الحضارة العربية الإسلامية بخلفية دينية واضحة سعياً للإصلاح، وتمكينا للحسّ السياسي المسؤول، وتأصيلاً لتقاليد إسلامية في الأخوة والمحبة والتآزر، والعدل والإنصاف، والعمل والإخلاص فيه، ومكافأة الجادين من أهل العلم والفضل، من دون إيثار لغير الكفاءة والإخلاص."

وعلى كل، فإنجاز بن العنابي يعدّ بحق لبنة متطورة جداً في دعائم النهضة الفكرية والأدبية، في العالم الإسلامي، وهو في ذلك يعد وبدون منازع رائد من رواد الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي، وعمله يعطيه مكانة مرموقة، ويجعله رائداً ليس في تجديد الفكر الإسلامي فحسب، بل في الفكر العسكري والسياسي نفسه، وهو متقدّم في أكثر من جانب فكري وأسلوبي عن معاصره كرفاعة الطهطاوي فضلاً عن تقدّمه في تاريخ التأليف بنحو خمس سنوات، وإن لم يتح له من الشهرة ما أتيح للطهطاوي لعوامل عديدة مختلفة يخرج ذكرها هنا.

- خاتمة:

يتبين لنا مما سبق أن ابن العنابي هو أحد رجال الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي فهو يعد رائداً ليس في تجديد الفكر الإسلامي فحسب، بل في الفكر العسكري والسياسي، وهو متقدّم في أكثر من جانب فكري وتجديدي عن معاصريه دعاة النهضة الحديثة من أمثال رفاعة الطهطاوي، الذي كانت دعواته للنهوض في الحقيقة تحرّراً من قيود الدين، لا تجديداً لفهمه، فقد تقدمهم في

تاريخ التأليف بنحو خمس سنوات، وإن لم يتح له من الشهرة ما أتيح للطهطاوي وغيره. وبأعماله الرائدة الجادة التي لم تشوبها تأثيرات الأعداء والحاقدين على حساب النهج الإسلامي الصحيح، كان بحق صاحب الرؤية الإسلامية الصحيحة والاستعلاء الإيماني على أعداء الدين، والداعي للجهاد في سبيل الله في ضوء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ورغم ما تعرض له، كغيره من المصلحين من مضايقات وابتلاءات ومكايد من مرتزقة الدين والفتاوى، أصحاب العقول الجامدة والعقائد المنحرفة، إلا أنه بقي صامدا لا يلين ولا يتغير، قويًّا في مواقفه وآرائه، كما ظل الكثيرون من أمثال بن العنابي، كابن بلده مصطفى بن لكبابطي، محافظين على مواقفهم ومتشبثين بمقوماتهم الدينية والوطنية برغم كثرة الدسائس وسياسة الإغراء والاستمالة التي انتهجها الحكام الاستعماريون والوطنيون على السواء مع هذه الوجوه الجزائرية وغير الجزائرية الثائرة بمواقفها السياسية والصادحة بقول الحق دون الخشية من لوم اللائمين.

لقد أثني على المفتي ابن العنابي كل من تتلمذ على يديه أو احتك به أو تمكن من قراءة كتبه، فها هو تلميذه محمد بيرم يقول في حق شيخه نثرا: "إلى حضرة وحيد زمانه، العالم الكبير، والرئيس النحرير، والمقدّم في الفتيا الحنفية بالمشرق بلا نكير، شيخ الإسلام أبي عبد الله سيدي محمد بن محمود العنابي، المفتي الآن بثغر الإسكندرية". وقال أيضا في حقه شعرا هذه الأبيات:

همام له حول السماكين منزل إمام بتحقيق العلوم خبير
به كسي الإسلام حلة مجده وأضحى له فخر به وسرور
إذا حوم الظمآن حول علومه يصادفه ماء هناك نمير
ولو قيل: من حاز العلوم بأسرها؟ إليه جميع العالمين تشير

ومهما حاولنا، كما يؤكد أبو القاسم سعد الله، " أن نلقي من أضواء على هذه الشخصية فإنها تظل متأبية علينا وتظل تطاردها العتمة. فنحن كلما تعمقنا في دراسته ازداد اتساعا وبعدا"[53]. وذلك لسبب بسيط أنه فريد زمانه، حيث لا نجد من العلماء المسلمين المصلحين والنهضويين من جاهد بقلمه ولسانه وسيفه جهادا صادقا لا يريد منه إلا مرضاة ربه، جهاد ابن العنابي.

الهوامش:

(1)- علي أجقو، المغرب الأوسط من مجتمع القبيلة إلى مجتمع الدولة الأمة، دار قانة، ط.1، 2003، ص.6.وأيضا:
-علي أجقو، دور قلعة الجهاد (مدينة الجزائر) في منع تكرار مأساة الأندلس في المغرب 1516-1541، أفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد-دبي، العدد 56، السنة الرابعة عشر،، ذو الحجة 1427/ بناير 2007، ص. 96 وما يليها.

[2]- حصن البينيون قلعة عسكرية بحرية شيدها الأبسان في سواحل مدينة الجزائر وفق معاهدة 1510 التي وقعها سالم بن التومي مع بدرونفارو حاكم مدينة بجاية بهدف تخفيف الضغط على مدينته وضمن هرولة حكام الكيانات المتهاوية في المنطقة باتجاه الإسباني والارتماء في أحضانه بالمجان بغية المحافظة على كرسي الحكم دون هدف آخر. وتم بالفعل افتكاك الحصن من يد الإسبان عام 1529 في عهد حكم باي لرباي الجزائر الكبير خير الدين بن يعقوب، واستسلمت الحامية البالغ عدد أفرادها 150 بحارا بقيادة مارتان دي فرقاس. وقد أعدم جميعهم بعد أن قاموا بإعادة ترميم صوامع المساجد في مدينة الجزائر، حيث حينما كانوا يريدون ان يتلهوا يصوبون فوهات مدافعهم صوب هذه الصوامع، وبعدها تم تنفيذ الإعدام في الجميع باستثناء ستة أفراد، رغم مطالبات الأبسان المتكررة بافتدائهم أحياء وأيضا أموات.

[3]- قتله ضابط إسباني يدعى قرسيا دي تنيو، وقد كرمه الأسبان باعتباره بطلا قوميا. وجرت الاحتفالات مدة 15 يوما في إسبانيا احتفاء بالتخلص من بابا عروج.

[4]- أجقو علي، النظام العدلي الجزائري 1514-1837، التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة- الرباط، عدد 21، 2000، ص.92.

[5]- سمّيت بذلك نسبة إلى شجرة العُنّاب وهو نبات أحمر حلو لذيذ الطعم على شكل ثمرة النبق ينبت بكثرة في هذه المدينة.

[6]- محمد زياد التكلة، ترجمة العلامة المفتي ابن العنابي الجزائري الأثري، 17 جويلية 2008، تاريخ التصفح: 01ديسمبر 2018 على الساعة: 14: 00، متوفر على الموقع: http://www.alukah.net/culture/0/2986

[7]- عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الإسلامي، ط.2، بيروت، 1982، ج 1، ص. 432، تاريخ التصفح: 09 أكتوبر 2020 على الساعة15: 00، متوفر على الموقع: https://books-library.net/files/elebda3.net-wq-5028.pdf-

[8]- عبد الحميد بك نافع، ذيل خطط المقريزي، تحقيق خالد عزب ومحمد السيد حمدي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط.1، القاهرة، 2006، ص. 173.

[9]- أبو القاسم سعد الله، الجديد عن ابن العنابي، حوليات جامعة الجزائر، جامعة الجزائر، المجلد(1)، العدد(1)، 1986، ص49.

[10]- نفس المرجع.

[11]- ومما يدل على إكرام الداي له وتبجيله أنه لما وصل إلى القصر الدايلكي لملاقاة الداي فصادف دخول مفتي الجزائر الحنفي أحمد بن عمر بن مصطفى فسبقه ابن العنابي في الدخول، فلم يعجب ذلك المفتي كونه خالف بذلك الرسوم، فبلغ ذلك الداي فقال انه يستحق التقدم عليه، وعزل المفتي وولاه مكانه مفتيا حنفيا.

[12]- سعد الله، "الجديد ...، مرجع سابق، ص.48.

[13]-نفس المرجع.

[14]- نفس المرجع، ص.51.

[15]- نفس المرجع.

[16]- **عبد الحميد بك نافع، مرجع سابق، ص. 190.**

[17]- **أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي: محمد بن العنابي المتوفى 1850، دار الغرب الإسلامي، ط.2، بيروت، 1990.ص.9، هامش 18.**

[18]- **أبو القاسم سعد الله، قضايا ثقافية بين الجزائر وفرنسا: موقف المفتي لكبابطي من اللغة والأوقاف، في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،، الجزائر، 1985، ج.2.**

[19]- سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة وتعليق زبادية عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط.2، الجزائر، 1982، ص. 111.

[20]- Claude COLLOT, Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830-1962, Ed. CNRS, Paris et OPU, Alger ,1987, p.167.

[21]-عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ج.3، ص513.

[22]-سعد عبد العزيز، أجهزة ومؤسسات النظام القضائي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1998، ص.20.

[23]-عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص513.

[24]- المرجع نفسه..

[25]- لطيفة حمصي، هيئة الإفتاء بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني: قراءة في وثائق المحاكم الشرعية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة-الجزائر، مجلد ب، عدد41، جوان2014 ، ص.95.

[26]-Claudo PANANTI, Relation d'un séjour à Alger, traduit de l'anglais par Blanquier , le Normant, Paris ,1938 , p.167.

[27]-عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص.513.

[28]- لطيفة حمصي، المرجع السابق، ص.95.

[29] Albert DEVOULX , Les édifices religieux de l'ancienne régence d'Alger, Revue Africaine, N° 19, année1875, p .529.

[30]- لطيفة حمصي، المرجع السابق، ص.95.

[31] غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1830-1700 مقارنة اجتماعية-اقتصادية، منشورات، ANEP الجزائر، 2007، ص.148.

[32]- نورد تشكيلة الجلسة الأخيرة من جلسات مجلس الفتوى قبل حله والتي لا يظهر ضمنها المفتي الحنفي، وكانت تتكون من:

- حميدة العمالي، المفتي المالكي،
- الحاج أحمد بن الحاج مصطفى العلج، القاضي الحنفي،
- مصطفى عياطو، القاضي المالكي
- مصطفى بن السمان، باش عادل حنفي،
- أحمد بن جلول، باش عادل مالكي
- ابن ربراب وكيل شرعي ملكي،
- علي لابربط وكيل شرعي حنفي،
- الحاج حمدان، عون،
- الشيخ بن القبطان، عون،
- ابن باش طبجي، عون..

[33]- Jean michel VENTURE DE PARADIS, Tunis et Alger au XVIII éme siècle ; mémoire et observations rassemblés par Joseph CUOQ ,, Sindabad, Paris, 1983, p. 254.

[34]- لطيفة حمصي، المرجع السابق، ص.93.

[35]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص.513.

(36)- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط.1، الجزائر، 1982، ص. 110.

(37)-المرجع نفسه.

(38)- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة وتعليق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط.2، الجزائر، 1982.ص.110.

(39)-نقلا عن لطيفة حمصي، المرجع السابق، ص.93.

(40)- سعد الله، الجديد ...، المرجع السابق، ص.50

(41)- قبيلة جزائرية تعامل أفرادها مع الاحتلال الفرنسي منذ معركة سطاوالي وحتى الاستقلال وتعاونهم كان أحد الأسباب في تكريس الاحتلال.

(42)- **أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي...**، المرجع السابق، **ص.40.**

(43)- لقد أقدم هذا الجنرال المجرم، الدموي، عديم الذمة والوفاء، الصليبي الحاقد وعديم الذوق على تخريب مسجد السيدة، الذي يعتبر تحفة معمارية وبيعت محتوياته في مدينة تلوز الفرنسية. لقد تعرض هذا المسجد للتهديم لأنه كان المسجد الذي يؤدي فيه أعضاء الحكومة الجزائرية وسلطاتها العليا صلواتهم. ويقع هذا المسجد قبالة قصر الجنينة مقر الحكم، وقد بناه الداي الجزائري الكبير محمد عثمان باشا من حر ماله.

(44)- من أمثال أحمد بوضربة أمين السكة الذي ولته فرنسا رئاسة المجلس البلدي لدار السلطان وعبد القادر بن عمر تولى منصب باي ياليك التيطري خلفا للباي المقاوم مصطفى بومزراق.

(45)- تنص المادة الخامسة من الاتفاق على ما يلي: " تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة كما أنه لن يقع أي اعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات ولا على دينهم وأملاكهم وتجارتهم وصناعتهم ونسائهم".

(46)- حمدان بن عثمان خوجة، **المرجع السابق، ص.295.**

(47)- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، بيروت، ط.4، 1984، ج.4، ص.ص، 141-142.

(48)- سعد الله، الجديد ...، المرجع السابق،

(49)- محمد زياد التكلة، المرجع السابق،

(50)- سورة الأنفال: الآية 60

(51)- محمد زياد التكلة، المرجع السابق،

(52)- وهذا الكتاب الهام قام بطبعه وتحقيقه محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.

(53)- أبو القاسم سعد الله، الجديد ...، المرجع السابق، ص. 55.